نفسه لابد تنكروا تاملوا موخلاف مادرج عليه السلف والاشياخ
الذين ادركناهم اوايل النصف الاول من القرن العاشر وقد سمعت
شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله يقول لفقراه كلما خالفه وابطأ منه
طاعته ما اشبهك بما سترك في معاملته مع ربه الذي خلقه وسواه
وسمعته يقول كل شخص يؤدي اليه جماعته صورة ما يؤديه هو الى حضرة
ربه من الموافقة او المخالفة وكان سيدي علي الخواص لا ياخذ على احد من اصحابه
في اساءته الادب معه ويقول كلما اساوا عليه الادب اللهم اغفر لما كان سببا
لازدرا هولا لي وخروجهم به عن طاعتي فاعلموا ذلك ايها الاشياخ
الذين برزوا للارشاد في اخر القرن العاشر وتادبوا مع اشياخكم ان كانوا
احيا او امواتا لتتادب معكم تلامذتكم وقوموا بواجب حق اشياخكم
ولو هضموا لكم نفوسهم فان كل من هضم نفسه فهو احق بالتعظيم ممن يعظم
نفسه ولما جعل الجنيد عنده جماعة في زاويته عدله بعضهم في ذلك
فقال هذه سنة محمدية فان اهل الصفة كانوا بجوار بعاية نفس لا يبرحون
من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم صيفا ولا شتا فانا كلما انظر الى فقرهم
وشدة حاجتهم الى تربيتي لهم اتذكر بذلك فضل الله تعالى علي فاشكره
واستغفره انتهى والحمد لله رب العالمين ومنها شدة حذر احدهم من مناجاة
الله عز وجل في السجود والعمل على تحصيل قوة الاستعداد لمناجاته تعالى
قبل القيام لكل صلاة كما مرت الاشارة اليه في الكتاب مرارا وذلك لان
حالة السجود لقرب العبد فيها من حضرة ربه تكاد روحه تزهق وتخرج
من جسده لولا لطف الله تعالى به فهي كحالة نزع الروح حال الاحتضار
عند كل من عقل واستبصر وذاق السجود الحقيقي بين يدي حضرة ربه
واما من لم يذق ذلك فغايته العلم او الايمان بقول اصحاب هذا المقام
وليس ذلك من شان القوم فانهم لا يكتفون بما دون الذوق وسمعت
سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لحالة السجود الحقيقي يذوب فيها
العبد لشهوده حالته قبل ان يخلق وهو امر تقصر عنه العبارة
وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول يجب على كل عبد الاستعداد
القوي لمناجاته تعالى في كل صلاة لا سيما في السجود فانها حالة تشبه

حضرة

٣٨٩

حضرة قاب قوسين كما اشار اليه حديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد انتهى وغالب الناس يدخل الصلاة بلا استعداد فتكون صلاته
صورية لا حقيقية فهي الى العادة اقرب وذلك لان العبد ان نظر الوجه
عبوديته فقط غاب عن شهود وجه ربوبية سيده وبالعكس وان نظر
اليهما معا لا يتم له ذلك لان الحدث اذا قرن بالقديم لم يبق للحادث اثر
كما قاله الجنيد وان غاب عن شهود الاكوان كلها حتى عن نفسه دخل مقام الزندقة
على ان القوم قد اجمعوا على انه لا يصح القول بفنا الشاهد مطلقا كما هو مقرر
بين المحققين انتهى فاعلموا ذلك ايها الاخوان واسلكوا طريق القوم على يد
العارفين لتحيطوا بالادب مع الله تعالى ذوقا لا علما فقط واياكم والوقوف
مع فنا نفوسكم في حضرة الله تعالى من غير شهود وجه عبوديتكم فان ذلك
من مزلات الاقدام والحمد لله رب العالمين وسياتي مزيد كلام في هذا المقام
قريبا عند الكلام على مقام الخشوع في الصلاة ان شا الله تعالى ومنها
عمل احدهم على تحصيل مقام الكمال النسبي في العلم والعمل فلا يكتفي في مواضع
وجوب العلم بالظن ولا في مقام الاخلاص بالتفتيش ولو بذرة واحدة
من الريا وانما يطلب مقام الكمال في كل قول وفعل كما درج عليه السلف الصالح
رضي الله عنهم وذلك ليخرج العبد من الريا والجهل ويدخل في سلك اهل
الحذق الاجتهاد ذوي التحقيق فقد اجمع القوم على ان كل من لم يكن في عمله على
يقين فهو ملحق باهل الهزو واللعب ويشهد لذلك قول الحسن البصري
رضي الله عنه للمجتهدين في العبادة من عباد التابعين ما اجتهادكم هذا
الا كاللاعب فيمن كان قبلكم ولو انهم راوا احوالكم لقالوا هولا لا يؤمنون
بيوم الحساب انتهى وقد لمح هذا المعنى الذي قررناه قوم موسى عليه
الصلاة والسلام لما قال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فانهم قالوا
اتتخذنا هزوا اي لست على يقين فيما تخبرنا عن الله تعالى من انه امرنا
ان نذبح بقرة وانما تخبرنا عن جهل وتخمين وذلك هزو ولذلك
رد موسى عليهم بقوله اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولم يقل اعوذ بالله
ان اكون من المستهزئين كما هو شان من يجيب خصمه بالمطابقة ويسمى
هذا عند العلما بالله تعالى جواب العدول لحكمة من الحكم وهو نظير جوابه

Copyright © King Saud University